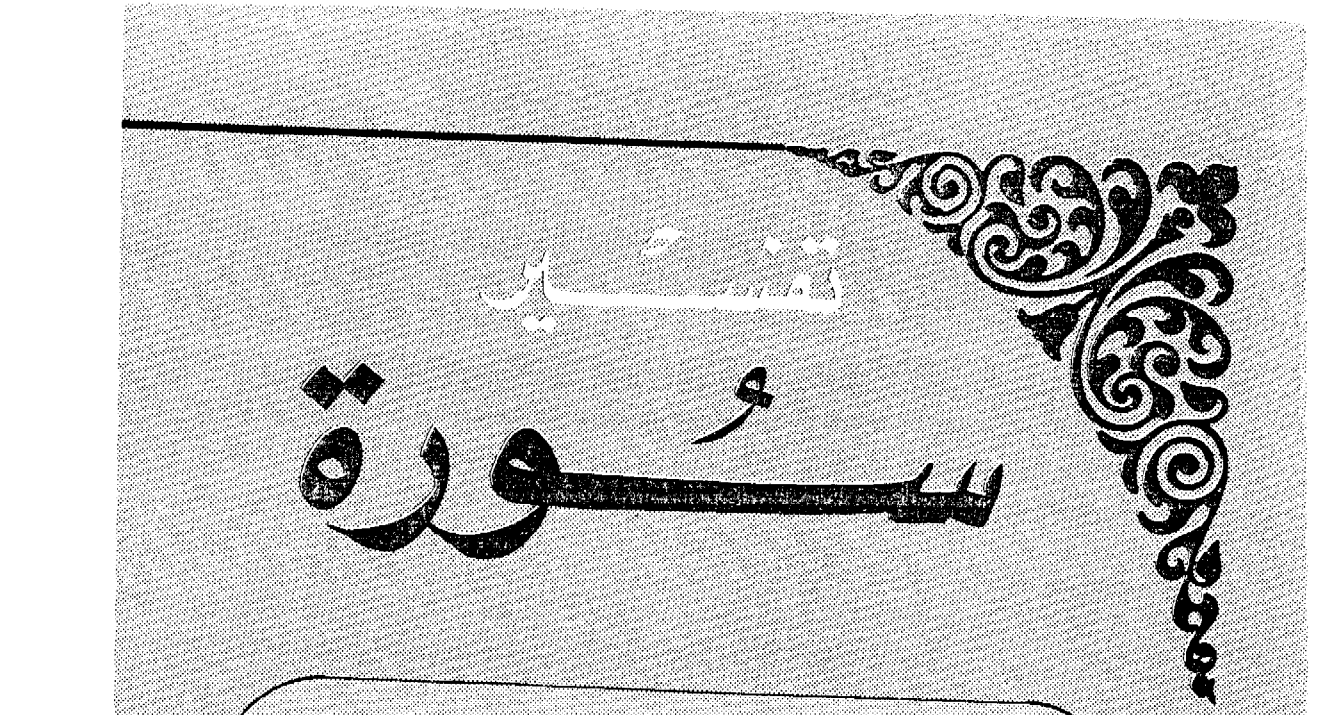

قال الله تعالى :
(يايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون.فإن لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم.ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) النور/٢٧ ــ ٢٩ .

تحليل المفردات :

(تستانسوا) تستأذنوا ، واصل الاستئناس طلب الأنس بالشيء ، والأنس : سكون النفس ، واطمئنان القلب ، وزوال الوحشة . قال الزجاج : « تستأنسوا في اللغة بمعنى تستأذنوا ، وكذلك هو في التفسير ، والاستئذان : الاستعلام ، تقول : آذنته بكذا اي أعلمته ، وآنست منه كذا اي علمت منه ، ومثله : (فإن آنستم منهم رشدا) النساء/٦ اي علمتم » ، فمعنى الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستعلموا ، يريد اهلها ان تدخلوا ام لا . قال الأستاذ سيد قطب في تفسيره. « عبر عن الاستئذان بالاستئناس وهذا التعبير يوحي بلطف الاستئذان ، ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق ، فنحدث في نفوس اهل البيت انسا به واستعدادا لاستقباله ، وهي لفتة دقيقة لطيفة لرعاية احوال النفوس ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم ، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز ان يشقى بها اهلها ، ويحرجوا

النور

للشيخ محمد الاباصيري خليفه

امام الطارقين في ليل او نهار » . **(وتسلموا على اهلها)** اي تلقوا تحيه الاسلام على اهلها ، والمراد باهلها الساكنون فيها . سواء كانت سكناهم بالملك ، او بالاجارة ، او بالاعارة . **(ذلكم خير لكم)** اي دخولكم بيوتا غير بيوتكم بعد الاستئناس والتسليم خير لكم من اقتحامها بغير اذن ، ومن الدخول على اهلها بغتة . **(لعلكم تذكرون)** لعلكم تتعظون بهذا الادب ، وتتذكرون ما يجب عليكم فعله قبل دخول البيوت على اهلها . **(فإن لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم)** اي ان لم تجدوا في البيوت احدا — بعد الاستئذان — فلا يجوز دخولها لان الدخول بالاذن لا بالاستئذان ومثل هذا ما اذا كان اهل البيت فيه ولم يردوا على المستأذن ، فيجب عليه الانصراف دون تلكأ ولا انتظار **(وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)** اي ان كان اهل الدار فيها واعتذروا لكم صريحا فارجعوا دون ان تشعروا في انفسكم بغضاضة ، او تجدوا في ردكم عن الدخول اساءة ، فللناس اسرارهم وظروفهم ، ومن حق كل انسان اذا كان لا يريد مقابلة انسان ان يأبى مقابلته او يعتذر اليه اعتذارا صريحا . **(هو ازكى لكم)** اي الرجوع بعد الاعتذار الصمتي او الصريح اطهر لكم من القعود او الوقوف على الابواب ، لانه يبعد عنكم الريبة والاهانة **(والله بما تعملون عليم)** فهو المطلع على مكنونات القلوب ، وما فيها من دوافع ، وهو المجازي حسب علمه المحيط باعمال عباده . **(ليس عليكم جناح)** اي ليس عليكم اثم ولا حرج . **(ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم)** المراد بالبيوت غير المسكونة التي فيها متاع للناس : البيوت التي بنيت لمنافع عامة غير السكنى ، مثل الحمامات ، والفنادق ، والحوانيت ، والبيوت المعدة للضيافة بعيدا عن المسكن ، فهذه وامثالها لا حرج في دخولها بغير اذن ، والمتاع يطلق في اللغة على المنفعة اي فيها منفعة لكم ، كالاستظلال من الحر ، والاستحمام ، وحفظ الرحال والسلع ، والبيع والشراء ويطلق المتاع ويراد منه الغرض والحاجة . اي فيها غرض من الأغراض ، او حاجة من الحاجات **(والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)** اي والله مطلع على ظاهركم وخافيكم مراقب لكم في سركم وعلانيتكم ، ويعلم مدى امتثالكم لهذا الادب الذي ادبكم به ، وفيه وعيد

شديد لأهل الريبة والنوايا الخبيثة ، الذين لا يقصدون الا التطلع على عورات الناس ، ورؤية ما لا يحبون الاطلاع عليه .

المعنى الإجمالي للآيات

شرع الله تعالى للمؤمنين ، اذا ارادوا زيارة غيرهم في بيوتهم ، أن يستأذنوا ويسلموا على أهل المنزل ، متلطفين في طلب الاذن ، فان في الاستئذان والتسليم ما يدفع الريبة ويبرىء من القصد السيىء ، فاذا أذن للمستأذن دخل عزيزا كريما على نفسه وعلى أهل المنزل يأنس بهم ويأنسون به ، وتكون زيارته محققة للألفة والمحبة ، لانه اذ ذاك لا يطلع على عورات الناس ، ولا تقع عينه على ما يكره أهل البيت الاطلاع عليه ، واذا لم يؤذن له باعتذار ضمني أو صريح فعليه أن يرجع دون أن يشعر في نفسه بمهانة ، ولا يتلكأ وينتظر على الأبواب ملحا في الدخول ، فقد يكون أهل البيت في أمور تشغلهم ولا تمكنهم من استقبال أحد من الزائرين ومن حق المزور الاعتذار عن المقابلة اذا لم يوجد لديه الاستعداد لها .

واذا لم يكن في البيوت أحد فلا يجوز للزائر اقتحامها ، لأن للبيوت حرمة ، ولا يجوز دخولها الا باذن أهلها ، على أن من دخل بيتا في غياب أهله يكون متهما بما يفقد أو يضيع من هذا البيت أثناء دخوله .

أما البيوت غير المسكونة التي فيها متاع للانسان فلا مانع من دخولها بغير اذن ، لأن الاذن في دخولها مشاع للجميع .

بهذا الأدب — الذي يصون للبيوت حرمتها ، ويحفظ لأهلها أمنهم وطمأنينتهم ، ويسمو بأخلاق الزائرين ، ويسبغ عليهم ثوب الكرامة — أدب الله المؤمنين بهذا الأدب العالي الذي يصون الحرمات .

مناسبة الآيات لما قبلها

صدرت سورة النور ببيان عقوبة الزانية والزاني ، والكشف عن خطر الزنى وقبحه ، ولما كان النظر الى الأجنبيات ، والخلوة بهن ، والاطلاع على عوراتهن ، طريق يمهد لتلك الجريمة النكراء ، وكان دخول بيوت الغير من غير استئذان يمكن الداخل من كل هذا أوجب الله تعالى الاستئذان عند قصد دخول بيوت الغير لتسلم الأسر من الانهيار ، ويصان المجتمع من الدمار ، ولا تشيع الفاحشة بين الناس .

وآيات الافك التي سبقت آيات الاستئذان على البيوت تحدثت عن براءة عائشة وكذب المنافقين فيما رموها به من الفاحشة ، ووبخت الذين جاروا المنافقين وخاضوا في شأن عائشة توبيخا شديدا ، والمنافقون قد استندوا على أوهى من بيت العنكبوت في اختلاقهم ، فقد جعلوا تأخر وصول عائشة وصفوان عن وصول الجيش الى المدينة سببا للتقول على أم المؤمنين وعلى الصحابي العظيم صفوان بن المعطل مع أن ما حدث لم يكن موضعا للشك ولا للارتياب كما بينا في شرح آيات الافك . فلو أبيح دخول البيوت بغير اذن لوجد المنافقون في ذلك فرصة للطعن في أعراض الأشراف الأطهار ، مما يؤذي المجتمع ، ويشيع الفاحشة في المؤمنين ، ويشوه سمعة الأسر الكريمة ! فلما أوجب الله الاستئذان

على البيوت كان في ذلك ـــ الى جانب الوقاية من الزنى ـــ منع من الخوض فـــي أعراض البرآء من الناس .

سبب نزول الآيات

جاء في تفسير الطبري ، واسباب النزول للواحدي ان امراة اتت النبي ، فقالت يا رسول الله : اني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب ان يراني عليها أحد ، لا والد ، ولا ولد ، فيأتيني آت فيدخل علي ، فكيف أصنع ، فنزلت الآية الكريمة : (**يايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** .. الآية)

وروى ابن ابي حاتم عن (مقاتل) انه لما نزل قوله تعالى:(**يايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** .. الآية) قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله : فكيف بتجار قريش الذين يختلفون من مكة والمدينة والشام وببيت المقدس ، ولهم بيوت معلومة على الطريق ، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس بها سكان ؟ فرخص سبحانه في ذلك ، فأنزل قوله تعالى : (**ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غـــير مسكونة فيها متاع لكم**) .

كيفية الاستئذان وآدابه

عندما نزلت آيات الاستئذان على البيوت تلقاها المؤمنون ـــ حينئذ ـــ بالقبول وبدا رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يطبقها في المجتمع ، ويعلم المؤمنين كيفية الاستئذان ، ويكشف لهم عن آدابه .

بين لهم ان كيفية الاستئذان ان يقول المستأذن : السلام عليكم أادخل . فيقدم السلام على الاستئذان .روى ابو داود والنسائي عن ربعي قال : أتى رجل من بني عامر ، استأذن على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو في بيتـــه فقال : أالج ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : (أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان ، فقل له : قل : السلام عليكم أادخل) . فسمعها الرجل فقـــال : السلام عليكم أادخل ؟ فأذن له النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فدخل .

ولا يشترط ان يكون الاستئذان صريحا بلفظ : ادخل بل يجوز ان يكون بلفظ يشير الى الاستئذان كالتسبيح والتكبير ، او التنحنح « فقد روى الطبراني عن ابي ايوب انه قال : قلت يا رسول الله : ارايت قول الله : (**حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها**) ؟ هذا التسليم قد عرفنا . فما الاستئناس ؟ قال : (يتكلم الرجـــل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ، فيأذن أهل البيت) » قا ل الاستاذ محمـــد الصابوني في تفسير آيات الأحكام « ومثل هذا في عصرنا ان يطرق الباب او يقرع الجرس ، فهذا نوع من الاستئذان مشروع ، لأن البيوت في عصر الصحابة لم يكن عليها هذه الستور والأبواب فيكفي للقادم أن يقرع الجرس ليـــدل على طلبـــــه الاســـتئذان .

وبينت السنة ان الاستئذان يكون ثلاثا ، فاذا لم يؤذن له فليرجع لما روى عن ابي هريرة مرفوعا :« الاستئذان ثلاث، بالاولى يستنصتون، وبالثانية يستصلحون،

وبالثالثة يأذنون أو يردون » . . وليس للمستأذن ان يزيد على الثلاث الا اذا تحقق ان من في البيت لم يسمع .

ومن الآداب السامية أن يستأذن الانسان على محارمه لما روى أن رجلا قال للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أستأذن على أمي ؟ قال : (نعم) ، قال : انها ليس لها خادم غيري ، أفأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : (نعم) ، قال : أتحب أن تراها عريانة ؟) قال الرجل: لا، قال: (فاستأذن عليها) رواه مالك في الموطأ

ومن الآداب الشرعية في الاستئذان الا يستقبل الزائر الباب بوجهه بل يجعله عن يمينه أو شماله ، فقد أخرج أبو داود ــ باسناده ــ عن عبد الله بن بشر قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، فيقول : السلام عليكم السلام عليكم » ، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور .

وهذا الأدب واجب الالتزام حتى ولو كان للدور أبواب مغلقة كما هو الحال في عصرنا ، فان الطارق اذا استقبلها فانه ــ عند فتح الباب ــ قد يقع نظره على ما لا يصح النظر اليه ، أو على ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه .

وعلى المستأذن اذا دق الباب فقيل ــ من أهل الدار ــ « مَن » أن يصرح باسمه ويستأذن ، روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه انه ذهب الى النبي في دين ابنه ، قال : فدققت الباب ، فقال : (من هذا) ؟ قلت : أنا . قال : (أنا أنا) كأنه كرهه وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب انه اذا أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : السلام عليك يا رسول الله ، أيدخل عمر ؟

والاستئذان واجب على النساء كما هو واجب على الرجال ، وعلى العميان كما هو واجب على المبصرين ، لأن من العورات ما يدرك بالسمع ، ففي دخول الأعمى على أهل البيت بغير استئذان ما يؤذيهم ، فقد يستمع الى ما يجري من الحديث بين الرجل وزوجته ، أو الى حديث بين بعض أفراد الأسرة لا يحبون أن يسمعه أحد ، وقال جمهور الفقهاء : ان قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ: « انما جعل الاستئذان من أجل النظر » محمول على الغالب ولا يقصد منه الحصر لأن الحكمة من مشروعية الاستئذان متحققة في الرجال والنساء جميعا مبصرين أو غير مبصرين .

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره : ان الحالات الاضطرارية لا يلزم فيها الاستئذان ، كحريق في دار ، أو هجوم سارق ، فلمن يعلم ذلك أن يدخلها بغير اذن أصحابها .

ولقد بلغ حس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما علمه ربه من هذا الأدب السامي المشرق بنور الله ما جعله يرى حق الخلوة حقا عاما لا يجوز لأحد ــ بموجبه ــ أن يدخل النظر في دار غيره بل ولا أن يقرأ رسالته بدون اذنه. ففي الصحيحين عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه قال: (لو أن امرءاً اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ، ففقأت عينه ما كان عليك من جناح) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة : (من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقأوا عينه ، فقد هدرت عنه) .

وروى أبو داود عن عبد الله بن عباس انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نظر في كتاب أخيه بغير اذنه فانما ينظر في النار) .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يطرق الرجل اهله طروقا .. وفي رواية : ليلا يتخونهم .

وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهارا فأناخ بظاهرها وقال : (انتظروا حتى ندخل عشاء ـ يعني آخر النهار ـ حتى تمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة) .

ومن أهم آداب الاستئذان تخير الوقت المناسب فلا يحضر الزائر في وقت الاستراحة من الأعمال ، ولا في موعد الطعام ، ولا في الساعات المتأخرة من الليل، وعليه ـ اذا ما حضر للزيارة في وقتها المناسب ـ أن يستأذن بلطف ورقة ، فلا يتابع طرق الباب بعنف الى أن يفتح له ، فان في ذلك ازعاجا لأهل الدار يفقدهم الأنس بزيارته ، بل ربما أدى ذلك الى عدم الاذن له !

وفي عصرنا الذي دخل الهاتف فيه دور الأعمال ومعظم البيوت يحسن للزائر أن يستأذن عن طريقه قبل الحضور ليؤذن له ، أو يعلم أن الموعد غير مناسب.

لقد جاءنا الله بأدب الاستئذان ليكون أدبا لنفوسنا وتقليدا من تقاليد سلوكنا وفي ذلك خير عظيم:(**ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**) .

حكمة التشريع :

قال الأستاذ « سيد قطب » في ظلال القرآن : « الاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكنا ، ويوفر على اهلها الحرج من المفاجأة ، والضيق بالمباغتة والتأذي بانكشاف العورات ، وهي عورات كثيرة ، تعني غير ما يتبادر الى الذهن عند ذكر هذه اللفظة .. انها ليست عورات البدن وحدها . انما تضاف اليها عورات الطعام ، وعورات اللباس ، وعورات الأثاث، التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل واعداد . وهي عورات المشاعر والحالات النفسية ، فكم منا يحب أن يراه الناس وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر ، أو يغضب لشأن مثير ، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء ؟!

وكل هذه الدقائق يرعاها المنهج القرآني بهذا الأدب الرفيع ، ادب الاستئذان، ويرعى معها تقليل فرص النظرات السانحة والالتقاءات العابرة ، التي طالما ايقظت في النفوس كامن الشهوات والرغبات ، وطالما نشأت عنها علاقات ولقاءات ، يدبرها الشيطان ، ويوجهها في غفلة عن العيون الراعية ، والقلوب الناصحة ، هنا أو هناك !

ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوما ، فيدخل الزائر البيت ، ثم يقول : لقد دخلت ، وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله في الحالة التي لا يجوز ان يراهما عليها أحد ، وكان يقع أن تكون المرأة عارية ، أو مكشوفة العورة ، هي أو الرجل ، وكان ذلك يؤذي ويجرح، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها، كما يعرض النفوس من هنا ومن هناك للفتنة ، حين تقع العين على ما يثير .

من أجل هذا وذاك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي . ادب الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها لإيناسهم ، وازالة الوحشة من نفوسهم ، قبل الدخول .